

الاغتراب الثقافي

دراسة نفسية اجتماعية

د. خلفون أسماء

جامعة طاهري محمد بشار

khalfoun_asma@yahoo.fr

الملخص :

يحاول البحث الحالي تسليط الضوء على ظاهرة الاغتراب الثقافي وتحليلها تحليلًا نفسيًا اجتماعيًا كونها من الظواهر المهددة للكيان العربي والجزائري خاصة فنلاحظ أن الاغتراب يؤدي بالشباب للتماهي مع الثقافة الغربية مقدسا لها ومجددا لكل ما هو أجنبي على غرار الثقافة الأصلية المحلية متجاهلا عاداته وتقاليده ومعتقداته ناقما على مجتمعه بكل ما فيه، فيعيش تناقضات بين هويتين نتيجة امتلاكه لذات زائفة ويعود السبب في ذلك للمؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءا بالأسرة وانتهاء بوسائل الاعلام والاتصال.

Sammary :

This research aims to shed light on the cultural a alienation phenomenon and analyses it psychosocially since it theartens the arab's entity and especially the algerian one, we notice that the alienation makes young people to identification with the western culture in which he glorifies it, in return he denies his own culture, tradition and custom. Subsequently he lives contradictions of two identities because he of having a fake identity and because of social fondations starting from the family and ending to the media.

الاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية وانعكاساته تتم على جميع النواحي بما فيها النفسية، الاجتماعية، والثقافية وكذا السياسية والدينية. ثم إن أسباب هذه الظاهرة تبقى نسبية وأصابع الاتهام تشار وتتجه نحو المجتمع بما فيه أولا الأسرة، المدرسة (مؤسسة تربوية)، وسائل الإعلام والاتصال وكذا التطورات التكنولوجية السريعة.

نتحدث عن الأسرة وهي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي إذا كانت تتمتع بصحة نفسية جيدة أعطت أفرادا أسوياء بعيدين عن أية مشاكل نفسية¹ أما إذا كانت تعاني خلافاً، فالنتيجة تكون أبناء غير أسوياء، لا يملكون مفهوما ذاتيا إيجابيا وسليماً.

ثم إن المدرسة أو أية مؤسسة تربوية تعتبر المسؤولة عن حدوث الاغتراب الثقافي كونها لم تقم بوظيفتها التربوية على أتم وجه، هذه الوظيفة التي تتمثل في غرس وتثبيت عند الأفراد حب الوطن وتنمية روح المسؤولية وكل الصفات الحميدة، هذا بالإضافة لتلك التناقضات بينها وبين الأسرة والتي تدخل الفرد في صراعات ومتاهات تنتهي باضطراب لديه.

كما أن وسائل الإعلام والاتصال هي الأخيرة من شأنها المساهمة الإيجابية أو السلبية في بناء وتكوين شخصيات الأفراد، كيف لا وهي التي تقوم بترسيخ وطبع القيم، الأفكار، الاتجاهات وكل تلك المعتقدات، وكذا التضحية من أجل الوطن وحب الانتماء له والولاء للجماعة المرجعية، بالإضافة لتعليم وربط الأفراد بثقافتهم المحلية ومبادئهم العربية الإسلامية.

أما مساهمتها السلبية من خلال عدم وجود رقابة خاصة وإهمال الجوانب الهامة لبناء الأفراد، ومن خلال الانفتاح المفرط على الثقافات الأخرى، وإحلال ثقافات غريبة بدل الثقافات المحلية وكذا العولمة الثقافية، كل هذا يقود الشباب الجزائري نحو ثقافات أخرى ليقعون ضحية اغتراب ثقافي محض.

تعريف الاغتراب الثقافي: تجدر الإشارة لإعطاء مفهوم عن الاغتراب قبل الحديث عن الاغتراب الثقافي.

الاغتراب: إن كلمة اغتراب مستمدة من الفعل اللاتيني Alienare، والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر ويعني الانتزاع أو الإزالة، وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي Alieus أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة من اللفظ Alius الذي يدل على الآخر سواء كإسم أو كصفة⁽¹⁾.

أما المعنى الاصطلاحي واللغوي لمفهوم الاغتراب، فيعني الذهاب والتنحي والتباعد عن الناس. والاغتراب بالمعنى السيكلولوجي يعني حالة فقدان الوعي وعجز أو فقدان للقوى العقلية أو الحواس ويشير أيضا إلى إذابة وتصفية وإنهاء العلاقة بين الفرد والآخرين⁽²⁾.

أما إذا اتجهنا للمعنى الاجتماعي للاغتراب فنستطيع توظيفه في مجال العلاقات الإنسانية بين الأشخاص ويشير للإحساس الذاتي بالغربة أو الانسلاخ سواء عن الذات أو الآخرين. وما يمكن استخلاصه أن الاغتراب بالمعنى الاجتماعي يعني فقدان الصلة مع الآخرين⁽³⁾. فالاغتراب نال إهتمام الكثير من الباحثين الفلاسفة أمثال "هيجل، كارل ماركس، فروم، فيورباخ، هاربرت ماركيز، وشاخت" وكذا أخصائيون في مجال علم النفس وعلم النفس الاجتماعي أمثال "كارين هورني، فرويد، كينستون، سيمون...".

ورغم ما يضمه هذا الموضوع من أنواع من اغتراب إقتصادي (كارل ماركس)، اغتراب سياسي، اغتراب نفسي (اغتراب عن الذات)، اغتراب اجتماعي واغتراب ثقافي موضوعي وهو ما يهمنا، وما يتفق عليه الباحثين في هذا المجال هو أن للاغتراب أبعاد تتمثل في:

- انعدام القوة: صراعات وتناقضات بيت التحكم الداخلي للفرد والتحكم الخارجي (البيئة).

- فقدان أو انعدام المعنى: انعدام سيطرة الفرد على اختياراته وقراراته والحيرة اتجاه ما يحدث أمامه.

- اللامعيارية: هذا المصطلح مشتق من نظرية دوركايم في الأنوميا ونظرية ميرتون في البناء الاجتماعي والأنوميا.

- العزلة الاجتماعية: حيث يصبح الإنسان غريبا عن مجتمعه وعن ثقافته العامة (اعتزال الحياة الاجتماعية).

- غربة الذات: وهنا يعجز الفرد في الحصول على الرضا الذاتي، انفصال عن الذات⁽⁴⁾.

بعد التطرق بشكل مختصر وإعطاء لمحة عن الاغتراب نركز اهتمامنا نحو الاغتراب الثقافي.

الاغتراب الثقافي:

هو البعد عن ثقافة المجتمع والنفور منها، أو الانفصال عنها والانبهار بكل ما هو غريب وأجنبي من عناصر الثقافة بما في ذلك نمط حياة الجماعة وأسلوبها.

فالاغتراب الثقافي يجعل الشخص المغترب يحيا حياة مخالفة ومغايرة لما هي عليه حياة مجتمعه ويعتق مبادئ وممارسات لم يألفها ولم يعهدها مجتمعه (جماعة انتمائه).

ويمكن القول أن الفرد المغترب يعي بصورة فعلية التباعد بين هويته وما ينبغي أن تكون عليه تلك الهوية⁽⁵⁾.

فإذا الفرد تحلل عن الثقافة الجماهيرية ورفضها فهذا يعني اغتراب ثقافي⁽⁶⁾. ويقول "نيتلر" الاغتراب عن الثقافة الشعبية هو الشعور بعدم الود اتجاهها أو الشعور بالتضارب معها ومقاومتها⁽⁷⁾.

فالشباب المغتربون يمضون وفق منطق غير واقعي مؤداه أن المجتمع الذي ينتمون إليه غير عادل ولا يمنحهم ما يرضي حاجاتهم وإنه لا يعطيهم حقوقهم وبالتالي نراهم يبحثون عن بديل آخر في ثقافة أخرى، وأية ثقافة هتة التي تجعلهم يصارعون ويناقضون قيمهم وثقافتهم المحلية.

من النظريات المفسرة للاغتراب نجد:

نظرية فرويد: تناول فرويد الاغتراب من وجهة نظر اللاوعي، كما تناوله بفكرة غربة الذات، فنظريته ركزت في تحليل الاغتراب على فكرة الإحباط من خلال تحضر المجتمع وهو ما أشار إليه فرويد في كتابه "ألم الحضارة" في عام 1929.

ففرويد يرى أن الإنسان بطبعه مناهض لما هو اجتماعي وعلى المجتمع أن يجعله أليفاً وأن يسمح له ببعض الإشباع المباشر للدوافع البيولوجية، التي لا يمكن مقاومتها، كما يقول أن المجتمع عندما يقوم بكبح الدوافع الرئيسية للفرد، يقوم هذا الأخير بكبتها وهذا الكبت يولد لديه إشتياقات تكون ذات قيمة حضارية تصبح هي الأساس الإنساني للحضارة وما كلمة استعلاء أو تسامي إلا دليل على هذا التحول من الكبت إلى السلوك المتحضر⁽⁸⁾.

ويتهم فرويد الحضارة باعتبارها المسؤولة عن حدوث اغتراب لدى الإنسان، كونها جاءت على حساب مبدأ اللذة، ونظام الكبت هذا الذي تحدث عنه فرويد نجد مرادفه عند هاربرت ماركيز بما يطابق "عقلنة القمع"⁽⁹⁾.

تفسير الاغتراب حسب كارين هورني:

تري كارين هورني أن أسباب الاغتراب ترجع لضغوط داخلية، حيث يواجه الفرد معظم طاقاته للوصول إلى أعلى درجات الكمال، حتى يحقق الذات المثالية ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها.

فالفرد المغترب يعيش في حالة من اللاواقعية وبالتالي فهو في حالة الوجود الزائف مع نفسه⁽¹⁰⁾.

ولهذا نجد الشاب المغترب يعيش مثالية يبحث من خلالها عن القيمة والاعتبار، فهو يبحث عن القيمة التي وصفها هيجل عندما ذكر أن الاغتراب هو موضوع ورغبة في الآخر، رغبة في أن أكون موضوع رغبة الآخر ويعترف بي الآخر بوصفي قيمة⁽¹¹⁾.

تفسير الاغتراب عند فروم:

يعتبر فروم "أبو الاغتراب" في التحليل النفسي، يقول أن جوهر الإنسان هو أن الآخرين يصبحون غرباء بالنسبة له⁽¹²⁾. فقد تحدث عن قضايا التغير الاجتماعي وتأثيرها في شخصية الإنسان، فعندما يتغير أي جانب مهم في المجتمع يقود نحو اضطرابات في الطبائع الاجتماعية والعادات وتصبح هذه الأخيرة قديمة وغير ملائمة لأولئك الأفراد وبالتالي هذا ما يزيد من شعورهم بالاغتراب وكذا اليأس⁽¹³⁾.

كما يرى فروم أن مصدر الاغتراب هو الموقف اللا اجتماعي والأناي للشخص⁽¹⁴⁾.

أما روسو يلمح إلى أن الحضارة التي قد سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية، والنماذج السلوكية التي أنشأها فلم يعد ذاته وإنما أصبح ذاتا أخرى محددة بشكل يتم خارج إرادة الإنسان، والاغتراب بناء على ذلك يصير مترادفا مع مفهوم التبعية والامثال.

فالفرد في حياته الاجتماعية وعندما يجد صعوبة في التفريق بين ما ينبغي أن يكون عليه وما يكون عليه بالفعل، وداخل هذا الانشطار يحدث اغتراب⁽¹⁵⁾.

وبالتالي نستنتج وجود مدرستين تفسر حدوث الاغتراب:

- الأولى نفسية: والتي ترى أن الاغتراب مشكلة نفسية ومنشأ الاغتراب هو تلك الاضطرابات في الشخصية وأن الفرد المغترب ضحية لخبرات الطفولة المبكرة وكذا التنشئة الأسرية وبالتالي فالاغتراب يعد كميكانيزم دفاعي ضد الصراع النفسي.

- أما المدرسة الثانية، فقد عاجلت الاغتراب من وجهة نظر اجتماعية واعتبرته يحدث كنتيجة وكرد فعل للضغوطات ولانعدام العدل في النظام الاجتماعي خاصة في المجتمع الحديث، وأن الفرد ضحية المجتمع لما يفرضه من أنظمة وقوانين غير عادلة.

إذا أمعنا النظر في هذه التفسيرات وإذ نحن قارناها بما يعانيه بعض الشباب الجزائري من اغتراب ثقافي بما يتضمنه من أبعاد تتمثل في:

- اللامعيارية: هي عدم الالتزام والتقييد بمعايير ومبادئ المجتمع وقيمه والابتعاد عما هو محلي وكذا مغايرة الثقافة المحلية.
- عدم الرضا الاجتماعي: يتضمن الشعور بفقدان المعنى في الحياة في البلد الأصلي وعدم الرضا عن المجتمع وأن كل الأمور تسير وفق منطق غير معقول، بالإضافة إلى انعدام العدالة الاجتماعية في البلد الذي يعيش فيه هذا الفرد.
- صورة الذات الزائفة "الذات المثالية": فالمغترب يصور لنفسه ذاتا مثالية لا يمكن تحقيقها، وهي كبديل عن ذاته الحقيقية.
- الصراعات النفسية: تنأى من كون الشاب المغترب ثقافيا يعيش تناقضات وكذا شعور بعدم الأمن.
- الإحباط: مصدره أن الفرد المغترب ونتيجة لعدم حصوله على رغباته وعدم تحقيق أهدافه في مجتمعه المحلي يصاب بالإحباط.
- من أجل تحليل الاغتراب الثقافي سنبن بالتدرج كيفية حصول الاغتراب الثقافي عند الشباب الجزائري. يمكن القول أن مشكلة تحديد الهوية الفردية كأول عامل يمرض على حدوث الاغتراب الثقافي.
- فالحديث عن الهوية الفردية يقود نحو الحديث عن أزمة الهوية التي أشار إليها إريكسون في دراساته وكذا كثير من الباحثين، وبما أن الهوية الفردية تعبر عما تختص به الذات من فرد ووحدة، والتي تشمل الوعي بالذات وتمثل الفرد لهذا الوعي، وباختصار هي الإحساس اللامنقطع للشخص بأنه هو وبعينه، وبالتالي عندما يغيب هذا الإحساس ينعدم الشعور بالوعي وبمفهوم الذات فما بالك بالهوية الثقافية التي تمثل القاسم المشترك أو النمط الراسخ من الثقافة والذي يميز فردا أو جماعة ما، أو شعبا ما.
- والهوية الثقافية هي تلك الحصلة المشتركة من الدين واللغة والمعرفة والتراث والقيم، والعادات والتقاليد، والمعايير وكل ما هو ذاتي أو موضوعي موروث ومتوارث.
- والتي إذا فقد الإحساس والشعور بها أو ربما نفيها وإلغائها فتكون النتيجة اغتراب ثقافي وبما أن الهوية الفردية هي عملية متعلمة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الفرد في مجتمعه، وهي مظهر من مظاهر نمو الشخصية فإن حالات العصيان، التمرد والخروج عن الأعراف والقيم إنما تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع بل والشعور بالاغتراب.

فيحدد "كينستون" صور رفض الهوية الثقافية في إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع ورفض للنظام القيمي للمجتمع وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع. إذن عجز الفرد عن الإجابة عن تساؤلاته التي يطرحها خاصة في مرحلة المراهقة المتمثلة في: من أنا؟ ما هو دوري في الحياة؟ وإلى أين أتجه؟ لمن أنتمي، ما هي مكانتي في المجتمع؟ هل سأحصل على اعتبار وتقدير...؟ ، وكذا عدم وجود إجابات مقنعة لها، حتما سينتهي به المطاف نحو خلل في توضيح هويته والآثار المترتبة على ذلك تكون في إظهار سلوكيات غير مقبولة في المجتمع و الانسحاب و البعد عن التعامل مع الجماعة و عدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية و كذا رفض القوانين و المعايير الثقافية والاجتماعية لأن الشعور بالهوية هو أساس الشعور بالانتماء و في الوقت نفسه الفرد لا يمكنه تأكيد هويته الفردية إلا إن استطاع في الوقت نفسه أن ينطلق من الشعور بالانتماء إلى جماعة يتوافق معها وكذا من خلال الشعور بالاستقلال.

ثم إن عدم تحديد مفهوم الذات أو نقص في الشعور بالذات يقود الفرد نحو الشعور بذات زائفة تكون مثالية بالنسبة له، ففي الذات الزائفة الإحساس بالذات وبالأخرين غير موجود أو ربما ليس بعد⁽¹⁶⁾.

والشباب ذوا الذات الزائفة سيبحث حتما عن بديل لتعويض نقصه وفراغه. ويلجأ للمثاليات للحصول على بعض الرضا عن الذات، فنراه يتخذ من الثقافة الأخرى مثالا أعلى يتقمصه كونه لم يجد الإشباع في الثقافة الأصلية التي عهدا آبائه، وأجداده ومجتمعه بأكمله، وتظهر الذات الزائفة عند الشباب الجزائري المغترب من خلال التبعية لمجتمع مثالي، فالجماعة ليست فقط مجموعة أفراد في تفاعل ولكنها مؤسسة تحمل "القيم، المعايير والقوانين والتي تبني الإدراك، الإحساسات، وسلوك أعضائها، فالأفراد داخل المجتمع يبحثون عن انعكاسات لصور مثالية لهم⁽¹⁷⁾.

ثم إن بناء أعلى لا ينتج فقط عن مثالية الصور الأبوية ولكن يشمل أيضا "القيم والرموز والصور البطولية أو الرسمية أو إيديولوجيا ما، وكل هذا يتم عن طريق ميكانيزمات الاستدماج والتماهي وبالتالي فالهوية من حيث بنائها تستدعي إستدخال النماذج والقوانين والمعايير.

وهذا ما يعتبر أعلى مشترك لثقافة ما والذي يعبر عنه بالبعد الاجتماعي نجده يطابق الأنا الأعلى الذي تحدث عنه فرويد⁽¹⁸⁾.

وبما أن الفرد يحتاج إلى بناء اجتماعي وإلى مجتمع يحميه ليشعر داخله بالأمن وبروابطه الاجتماعية، كونه يبحث ويحتاج لأن يكون معتبرا مثله مثل الرضيع بين ذراعي أمه، وإذ هو لم يجد ما يشده لهذا البلد ولم يجد الحماية الكافية والمثالية التي يتصورها، فإنه يبحث عن ركائز اجتماعية عالية ليستند عليها، وبالتالي يستثمر موضوعه في بلد آخر من خلال ثقافة أخرى⁽¹⁹⁾.

وهذه المثالية ناتجة عن نرجسية مفقودة أو ضائعة للطفولة كما تحدث عنها فرويد وهذا سبب الإحساس بالفراغ والتزييف وعدم الإشباع الناجم عن إحباط في العلاقة مع الموضوع أي علاقة الأم بالطفل، وعندما يحدث حرمان عاطفي في تلك العلاقة يؤدي إلى انكسار نرجسي وهذه المعاناة النرجسية هي قاعدة السلوكات المضادة للمجتمع والتي سببها خطأ أو ضعف في بناء العلاقة مع الآخرين (الغير)، وبالتالي يجد هذا الفرد صعوبة في استدماج الآخرين وهو ما يؤدي لعدم الشعور بالأمان مع تلك الروابط وبالتالي فقدانها⁽²⁰⁾.

بعد كل هذه الأمور التي ذكرناها فالشباب المغترب وعند شعوره بتهديد في الهوية يستعمل ويقوم باستراتيجيات من أجل التخفيف من معاناته، فقد يستعمل إستراتيجية موجهة نحو الخارج، وهذه الإستراتيجية تستدعي تغيير الواقع الشخصي الخاص به أو تغيير حقيقة الجماعة التي ينتمي إليها، فنراه ينحاز نحو الثقافة الأخرى كحل لأنه يعتبر أن جماعته المرجعية سلبية وليس عضوا فيها ويعتبر نفسه غير مجبر على الانتماء لها.

فيقول كاميليري أن الشخص الذي يتبنى ثقافة أخرى أو يرغب بالهجرة لبلد آخر، فإنه يقوم بميكانيزم التكيف غير أن هذا التكيف يكون مجرد دفاع من جانب ذاته "جزء من أناه" وبالتالي يظل الجزء الآخر منه محافظا على رابطة حميمية مع ثقافته الأصلية فيعيش مترددا بين خطرين متناقضين:

- من جهة خطر التلاشي داخل ثقافته الأصلية أين تتأصل جذوره، "أين يتواجد هو".
 - ومن جهة خطر التهميش داخل الثقافة الجديدة والتي يتبنى بسرعة أذواقها وعاداتها⁽²¹⁾.
- وفي هذا الصدد يصف "فرانكزي" Frencki ظاهرة الشباب المهاجرين والراغبين بتغيير الثقافة الأصلية فيقول: "هي تطلب لاشعوري للتحويل"، "مرض استدماجي"،

والذي ينتج عنه ظاهرة التماثل للذات بدون وجود اندماج حقيقي فالشباب المغترب يعيش تماهيا مزدوجا:

- مع العالم الأصلي "اللغة الأم".

- مع العالم المتبنى "اللغة الأخرى".

وهنا يجد الفرد المغترب نفسه أمام أمرين، إما إلغاء الهوية الأصلية، وإما إنكار ونفي الهوية المتبنية⁽²²⁾.

كما لا يمكننا نسيان عامل مهم باعتباره محرض على حدوث ظاهرة الاغتراب الثقافي ألا وهو العولمة الثقافية.

فالعولمة هي من أخطر القضايا العالمية التي أصبحت تهدد هوية الشعوب لتفقد مرجعيتها وتسهل عملية استيعابها⁽²³⁾.

حسب "محمد عابد الجابري" فالعولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل إيديولوجية تعكس إدارة الهيمنة على العالم فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي على الصراع الإيديولوجي.

أما العولمة الثقافية هي الاختراق الثقافي الذي يستهدف العقل والنفس والإدراك ويدفع إلى التشييت لربط الناس بعالم لا وطن ولا دولة ولا أمة له، فهي هجمة غريبة⁽²⁴⁾.

وهي تهدف للقضاء على الهوية الثقافية والخصوصية الثقافية، فهي تمس بأهم مكونات للثقافة ألا وهما التربية والتكوين، ولهذا يكون التأثير مباشرا في الأسرة والمدرسة وهو ما يؤدي للاغتراب عند البعض من الشباب الجزائري.

فالعولمة الثقافية تهدف أيضا لزرع القيم والأفكار النفسية والثقافية للقوى المسيطرة في وعي الآخرين وبالأخص أبناء المجتمعات التقليدية، كما تهدف لإعادة صيغ قيم جديدة تؤسس لهوية ثقافية أخرى لهذه المجتمعات مهددة هويتها الثقافية بشكل جدي باتجاه فرض نمط ثقافي وهيمنة ثقافية معينة⁽²⁵⁾.

سنطرح مثلا سهلا لتوضيح هدف العولمة الثقافية، نتحدث عن الثقافة المادية "ثقافة الهامبرغر" كما أطلق عليها، قد يبدو أمرا عاديا أن نتناول "بيزا" كل يوم، ولكن خلفية العولمة أكبر من ذلك، كونها لها بعد ثقافي مرتبط بالعادات الاجتماعية للطعام ومضامينه

الثقافية والقيمية، ولها آثار كبيرة على حياة الناس والمجتمع والثقافة⁽²⁶⁾. فنرى أن الأكل الجاهز ينسي شبابنا تدريجياً طعامه التقليدي.

كما للعولمة الثقافية أثر على السلوكيات والأخلاق من خلال وسائل الإعلام والاتصال "انترنت، إعلانات...." والتي أدت إلى إفساد شبابنا خاصة الأطفال الذين لم تتكون لديهم ملكة النقد والحصانة الذاتية، فيقعون فريسة سهلة لما يعرض عليهم من صور مؤثرة، وهو ما يؤثر على المعتقدات والقيم وفرض قيم المجتمع الأجنبي وكذا القيام بتصرفات غير لائقة وهو ما يؤدي للتمرد على الأسرة وتفكيك علاقاتها المتماسكة وفي الأخير هدم للعلاقات الأسرية وتمرد على القيم الثقافية وهو ما يفجر أزمة هوية تشعر الفرد أنه مهدد من جانب ذاتيته، ويقوم بآليات من أجل حماية ذاته، كأن ينعزل عن الثقافة السائدة أو يتطرف ويحتمي بثقافة مغايرة⁽²⁷⁾.

فالعولمة هدفها إضعاف التماسك العائلي والاجتماعي من خلال انعزال أفراد الأسرة الواحدة عن بعضهم البعض والسبب وسائل الإعلام والاتصال "انترنت، محمول.. واستعمالها لفترة مطولة، مما يخلق نوع من الغربة المكانية بين أفراد الأسرة وشعورهم بالاغتراب والعزلة، ناهيك عن المشاكل الأخرى⁽²⁸⁾.

ثم إن العديد من الدراسات والبحوث الميدانية أقيمت من أجل معرفة تأثير الأقمار الصناعية على القيم الثقافية ومنها الأخلاقية والدينية، في عديد من البلدان الإفريقية من شمال إسلامي وجنوب الصحراء الإفريقي وحتى بلدان خارج إفريقيا، وكانت النتائج تأثير على الجوانب الأخلاقية بالدرجة الأولى والتأثير على الجوانب الثقافية والتعليمية والسلوكية من خلال تشتت ما يتعلمه المرء في المؤسسات التربوية وما يشاهده من برامج مناقضة لذلك وكذا التأثير على الروابط الأسرية.

ثم إن دراسات ميدانية أخرى كتلك التي قام بها "مورغان وكانغ" حول تأثير المواد التلفزيونية على الشباب الإفريقي، كانت النتائج تأثير بالغ على القيم الأسرية والأخلاقية والتقليدية، كما أن التعارض بين القديم والجديد أدى إلى فعل معاكس مناهض للثقافة الأجنبية.

ودراسات ميدانية أخرى بينت أن هذا التأثير يؤدي بالأفراد إلى فقدان الشعور بالانتماء وإلى أزمة أخلاقية وكذا اغتراب ثقافي، وبالأخص طبقة المثقفين التي لا تعترف سوى بالنمط الغربي⁽²⁹⁾.

قد بينا بالترتيب كيف أن الفرد يتعرض لظروف ضاغطة، بعدها عدم تحديد الهوية الفردية والتي تعكس أزمة هوية، ثم الخروج من المشكلة بمفهوم ذات خاطئ و الذي يعطي صورة زائفة للفرد عن ذاته وبالتالي تكون المثالية عند هذا الشاب كتعويض لاشعوري يقوم به من أجل حماية نفسه، وإذا تعززت الظروف بفشل الأجهزة المسؤولة عن تكوين تصورات وأفكار الشباب في القيام بوظائفها هذا ما يقود الشاب نحو البحث عن بديل لموضوع لم يجده مشبعا ويكون الحل باختيار الثقافة الغربية، وللإغتراب للشعور بنوع من تأكيد الذات وبالتالي يكون الاغتراب سبب ونتيجة في آن واحد.

إن المشكل الذي يطرح نفسه هو مآل الشباب المغترب ثقافيا؟

فإذا اختار الشباب الاغتراب الثقافي كحل وكبديل عن مشاكلهم، وإذا هم اختاروا الثقافة الأخرى وقرروا الهجرة نحو البلد الغربي، هل فعلا قد تم الاستدماج الكلي لأولئك الشباب المغتربون مع الثقافة التي اختاروها؟ وهل فعلا قد نجحوا في تحقيق نوع من إثبات الذات والرضا النفسي؟

طبعا الجواب ظاهر وجلي، فأولئك الشباب المغتربون يعيشون صراعات وتناقضات ما بين الثقافة الأصلية والثقافة الأجنبية، إنه تماهي مزدوج، إما إلغاء الهوية الأصلية أو إنكار ونفي الهوية المتبناة، وهذا أمر مستحيل، فنجد الشاب المغترب مندفعاً نحو الثقافة الأجنبية ومع ذلك يبقى جزء لا شعوري بداخله يحمل الولاء لثقافته الأصلية" من بعض العادات والتقاليد" والتي تظهر في بعض تصرفاته.

فيقول "كاميلري" أن الشاب المهاجر أو المغترب يعيش أنماطا ثقافية في نفس الوقت، نمط تقليدي في العائلة ونمط حديث في الدراسة أو العمل ومع الأصدقاء، وعند حدوث موقف مهم كالزواج وعندما يتعلق الأمر بتربية الأولاد سيحتار هذا الفرد بأي نمط سيريه⁽³⁰⁾. ثم إن اشتياق الشاب المغترب وحنينه للطعام التقليدي لخير دليل على ذلك.

من خلال دراستنا الميدانية فيما يخص هذا الموضوع وجدنا أن بعض الشباب المغترب ومن خلال تبنيه للثقافة الغربية يحاول دوما البحث عن الاعتبار، القيمة والمكانة الاجتماعية،

كون السبب ليس ماديا، وإذا أولئك الشباب لم يجدوا ما يبحثون عنه داخل الوطن الأم، فحتما سيختارون طريقا آخر تكون نهايته الاغتراب داخل ثقافة أخرى.

نستنتج أنه بتضافر كل من العوامل والأسباب النفسية المتمثلة في عدم تحديد مفهوم الذات ومحاولة البحث عن إشباع للموضوع والعوامل الاجتماعية المتمثلة في الرغبة في المكانة الاجتماعية العالية والحصول على الاعتبار والقيمة الذاتية، وسبب التغيرات التكنولوجية السريعة والعولمة الثقافية، كل هذا يقود نحو اغتراب ثقافي محض يكون سببا ونتيجة في آن واحد.

الحلول المقترحة:

بما أن ظاهرة الاغتراب الثقافي تمس لب المجتمع نعني بذلك الثقافة التي هي عماد المجتمع العربي وبما أن الاغتراب الثقافي يعني الانجذاب واختيار الثقافة الغربية بكل ما تحمله من عادات وقيم وتقاليد وأفكار وسلوكات، هذا يعني إهمال الثقافة العربية المحلية والمساس بها وبمعتقداتها، إذن هي مشكلة تهدد الكيان العربي والجزائري خصوصا كونها تسرق عقول الشباب وتغير مبادئهم واتجاهاتهم، ولهذا ينبغي تسليط الضوء على:

- مؤسسات التنشئة الاجتماعية وحثها على القيام بوظائفها على أكمل وجه خاصة في المراحل الحساسة كمرحلة المراهقة.

- تكثيف الدراسات التي تخص الشباب وحاجاتهم.

- مراقبة القنوات الفضائية الأجنبية وانتقاء منها ما هو نافع لشبابنا فقط.

- وضع برامج تربوية وتوعوية هادفة.

- محاولة تعديل اتجاهات الشباب وميولاتهم وقدرات المجتمع وإمكانياته.

- إعطاء القيمة النفسية الاجتماعية للشباب الجزائري، وتقدير مكانتهم داخل المجتمع، كذا توفير حاجاتهم ومطالبهم.

في الأخير نستدل بقول "غاندي": "أسمح لكل ثقافات العالم أن تهب داخل بيتي ولكن لن أسمح لأي منها أن تقتلني من جذوري".

قائمة المراجع:

- المراجع باللغة العربية:

1. RAYMONDE, BOURDON, M. CHERKAOU, B. VALADE ,
DICTINNAIRE DE LA PENSEE SOCIOLOGIQUE,
PUF,(2005) 1ED, p12.
2. سهير عبد السلام ، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيز، دار المعرفة
الجامعية(2003)، ص22.
3. ريتشارد شاخ، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر، ط1، بيروت(1980)، ص 03.
4. محمد خضر عبد المختار، الاغتراب والتطرف نحو العنف "دراسة نفسية اجتماعية"،
دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة (غير مؤرخ)، ص 31.
5. ريتشارد شاخ، مرجع سبق ذكره، ص 234.
6. المرجع نفسه، ص 237.
7. المرجع نفسه، ص 238.
8. GERARD MENDEL , LA CRISE DE GENERATIONS :
ETUDE SOCIOPSYCHANALYTIQUE, PAYOT, 2éd,
PARIS, (1996) p127.
9. Op cit, p128.
10. محمد عباس يوسف ، الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب، القاهرة، (2004)
ص 47، 48.
11. محمد خضر عبد المختار، مرجع سبق ذكره، ص 51.
12. ريتشارد شاخ، مرجع سبق ذكره، ص 178.
13. محمد خضر عبد المختار، مرجع سبق ذكره، ص 53.
14. ريتشارد شاخ، مرجع سبق ذكره، ص 184.
15. حسن محمد حسن حماد ، الاغتراب عند إريك فروم، المؤسسة الجامعية
للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت (1995)، ص 47.
16. RONALD CHEMAMA, B. VANDERMERSCH,
DICTIONNAIRE DE LA PSYCHANALYSE, PARIS(2003),
p613,614.

17. EDMOND MARC , PSYCHOLOGIE DE L'IDENTITE SOI ET LE GROUPE, DUNOD, 1^{ed}, PARIS(2005), p111.
18. Op cit, p114.
19. GENEVIEUV VINSONNEAU, L'IDENTITE CULTURELLE, ARMOND COLIN, PARIS(2002), p217.
20. RENE KAES ET ALL , DIFFERENCE CULTURELLE ET SOUFRAANCE DE L'IDENTITE, DUNOD, PARIS(1998), p14.
21. Op cit, p93.
22. GERARD LUTTE ,LIBERER L'ADOLESCENCE, PIERRE MARDAGA, EDITEUR LEIGE, BRUXELLE(1988), p109.
23. محمد مسلم ، الهوية والعولمة "دراسة شاملة لمفهوم الهوية ، ومواجهة تحديات العولمة" ، دار الغرب للنشر والتوزيع (غير مؤرخ) ، ص 64.
24. داريوش شايفان ، ما الثورة الدينية "الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة" ، ترجمة وتقديم محمد الرحموني ، مراجعة مروان الداية ، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، دار الساقى ، ط1 (2004) ، ص 73.
25. عبد العزيز راغب شاهين ، العولمة الثقافية وانعكاساتها على الثقافات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة (غير مؤرخ) ، ص 134 ، 135.
26. إيمان يوسف البسطويسى ، الثقافات المحلية والعولمة ، دار الثقافة الجديدة ، مركز البحوث العربية والإفريقية ، ط1 ، القاهرة (2008) ، ص 63.
27. عبد العزيز راغب شاهين ، مرجع سبق ذكره ، ص 145.
28. إيمان يوسف البسطويسى ، مرجع سبق ذكره ، ص 64 ، 65.
29. عبد العزيز راغب شاهين ، مرجع سبق ذكره ، ص 146.
30. CARMEL CAMILLERI, G. VINSONNEAU, PSYCHOLOGIE ET CULTURE : CONCEPTS ET METHODES, COLIN, PARIS (1996), p98.